

الطيفى الإيقاعى التطورى (178)

الفصام: مغارة الضياء ووعود الإبداع

مسيرة الفصام

ما قبل المرض (2)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD270317.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/03/27
السنة العاشرة - العدد: 3495



مقدمة:

قدما أمس ما تيسر عن خطورة إطالة الاحتواء فإعاقاة النمو وتدعيم المراحل الأولى فيه، وكذلك عن مضاعفات تعسر الولادة النفسية أكثر مما ينبغى، وشرحنا كيف تكون هذه الولادة السليمة مع تنشيط حركية برنامج الدخول والخروج هما الآلية المناسبة للدفاع ضد حلول الفصام، والعكس صحيح.

وننتقل اليوم إلى المراحل التالية ليس بتسلسل المراحل العمرية، وإلا كنا نقدم كتابا عن التربية السليمة وعوامل الوقاية فى مقابل الاستهداف للمرض، لهذا سوف أقصر حديثى اليوم على العوامل العامة التى تؤثر فى تكوين الشخصية ككل، فتيسر جاهزيتها للفصام بوجه خاص، بما يعنى أن عكسها إنما يمثل فرصة لتواصل نبض النمو.

المتن (تقريبا) ما زلنا فى المرحلة الثانية من المسيرة :

(2) نمط الشخصية والاستهداف للمرض

يقسم سيلفانو "أريتي (1) الشخصية قبل الفصام إلى نوعين:

الأول: الشخصية الشيزيدية (Schizoid personality) وهى الشخصية الشائعة عن ما هو قبل الفصام من قديم وتتميز بقوة الاتجاه إلى اللاعلاقة حيث يبدو الشخص منذ طفولته منعزلا، حساسا، مستعليا (مشفقا من أعلى أحيانا) أو مغرورا، أو متفردا.

والثانى: الشخصية العاصفية Stormy personality التى يبدو عليها اندفاعات فجائية وعدوانية وأحيانا محطمة سرعان ما تنطفئ، ويرجع الشخص إلى طبيعة عادية أو هادئة، ثم يعود!..

وفى خبرتى الاكلينكية وجدت أن هذا التصنيف تغلب عليه المقاييس السلوكية الظاهرة، مع أن هذا ليس من أسلوب سيلفانو أريتي كما يصلنى، ذلك أننى وجدت أن الأهم فى شخصية الفصامى قبل المرض هو بُعد تركيبى غائر، وهو يتعلق بنوع علاقات الشخص، وليس بكمّها ولا ظاهرها، كما يتعلق بطبيعة هذه العلاقات وما إذا كانت تحمل إليه رسائل ذات معنى، فيستجيب لها داخليا أو خارجيا بما يكمل الدائرة، ويثريه فيواصل، أم لا، بمعنى أن العامل الأهم فى الشخصية قبل المرض ليس نمطها الخاص بل نوع علاقاتها ومعنى ما يصلها من "رسائل" وماتجيب به من "عائد"، فكثير من الشخصيات الانطوائية ظاهريا تعيش حياة غنية "بالرسالة والعائد" فى صمت ودعة بحيث تنمو بسلاسة دون أدنى تعرض لهزات انقلابية تُظهر الفصام أو مثله، وكثير ممن يقال لهم انبساطيون إنما يمارسون النشاط القهرى الكلامى والعلاقاتى نحو الآخرين من جانب واحد بحيث لا يستقبلون رسائلهم، وبالتالي لا يكون

الشخصية الشيزيدية

Schizoid)

(personality) وهى

الشخصية الشائعة عن ما هو

قبل الفصام من قديم وتتميز

بقوة الاتجاه إلى اللعلاقة

حيث يبدو الشخص منذ

طفولته منعزلا، حساسا، مستعليا

(مشفقا من أعلى أحيانا) أو

مغرورا، أو متفردا

الشخصية العاصفية Stormy

personality التى يبدو

عليها اندفاعات فجائية

ومعدوانية وأحيانا محطمة

سرعان ما تنطفئ، ويرجع

الشخص إلى طبيعة عادية أو

هادئة، ثم يعود!..

وجدت أن الأهم فى شخصية

الفصامى قبل المرض هو بُعد

تركيبى غائر، وهو يتعلق

بنوع علاقات الشخص، وليس

بكمّها ولا ظاهرها، كما يتعلق

بطبيعة هذه العلاقات وما إذا

كانت تحمل إليه رسائل ذات

معنى، فيستجيب لها داخليا أو

خارجيا بما يكمل الدائرة ،
ويثيره فيواصل، أم لا

أن العامل الأهم في الشخصية
قبل المرض ليس نمطها
الخاص بل نوع علاقاتها ومعنى
ما يصلها من "رسائل" وما تجيبه
به من "مائد".

أما عن تواتر الشخصية
"العاصفية" في خبرتي، فقد
كان أقل نسبيا من الشخصية
الشيذيدية، إلا أنها كانت
أعمق دلالة

مشكلة ما قبل الفصام -
وما يهيئ له - هو فقر
التغذية

Undernourishment
للجهاز البيولوجي الإنساني،
ويكون ذلك بالعقلنة
المفرطة التي تغلب في
الحياة الشيذيدية المعاصرة،
كما قد يكون بسوء التغذية
Malnourishment

قد تنشأ من نتائج فقر التغذية
وسوء التغذية البيولوجية
أنواع من السلوك شاذة
مصيئة للفصام مثلما ذكرنا
عن الشخصية الشيذيدية أو
الشخصية العاصفية

يلاحظ أيضا استعمال مصطلح
فقر التغذية بالمعلومات
وكذلك سوء التغذية
بالمعلومات وأنه مرتبط
بفرضي أن التعامل مع
المعلومات بطريقة سليمة

لنشاطهم التواصلى الظاهر عائد حوارى ثرى، يسهم في حركية التواصل الأعمق ومواصلة التكامل
الجدلى الخلاق

أما عن تواتر الشخصية "العاصفية" في خبرتي، فقد كان أقل نسبيا من الشخصية الشيذيدية، إلا
أنها كانت أعمق دلالة، إذ أن هذا النشاط العاصفي كان يدل عندى على أمرين معا: أولهما: قوة الداخل
البدائى وحنفه وقدرته، وثانيهما: ثقب في الحائط الخارجى للذات واحتمال كسره، وإن كانت هذه
النوبات العاصفية كثيرا ماتعتبر تفرغية، وتؤجل ظهور النشاط البدائى بشكله المرضى المباشر (2).

خلاصة القول:

إن ما قبل الفصام يشير عادة- بغض النظر عن نوع الشخصية أو نوع البيئة أو نوع الوراثة -
إلى جوع شديد إلى استقبال "رسائل" لها معنى (3)، كما أنه يفتقر إلى إرسال "رسائل" تجد من يستقبلها
بقدرها، وعلى ذلك فإن العائد يصبح ضعيفا للغاية "منه وإليه"، والنتيجة أن تنقطع المواصلات
البيولوجية القادرة على حفظ التوازن البشرى بالدرجة التي تسمح له بالاستمرار والنمو.

فمشكلة ما قبل الفصام- وما يهيئ له - هو فقر التغذية Undernourishment للجهاز البيولوجي
الإنسانى، ويكون ذلك بالعقلنة المفرطة التي تغلب في الحياة الشيذيدية المعاصرة، كما قد يكون بسوء
التغذية Malnourishment التي قد تتم بأى من الأساليب التالية:

(1) بالتركيز على جانب واحد من جوانب الشخص دون بقية وجوده (مثلا: صفته كطالب أو كإبن
أو كمتفوق أو كشخص جميل الطلعة أو .. أو الخ) دون سائر جوانب كيانه الأخرى، وخاصة
الضعيف منها.

(ب) التركيز على نوع معين من "الرسائل والعائد" دون بقية الأنواع، مثل التركيز على نوع
العلاقات الاستثمارية Investment relations أو الاحتوائية أو التشكيكية أو الثنائية، دون العلاقات
البنائية أو التعاونية أو الموضوعية.

(ج) معاملة الشخص ككيان ذاتى، أى كيان مسقط من الذات للخارج، دون الشخص الحقيقى،
وهذا وارد في كثير من الأسر المسماة البرجوازية، فإن طفلها عادة ما يُستعمل لتأكيد قيمها
الطموحية والطبقية، وبذلك لا تصله أى رسالة بنائية لأنه لم يكن - هو - موجودا أبدا في مجال
إدراكها.

وإذا لم يتخذ الفرد غذاءً بيولوجيا مناسباً وكافياً (ذا معنى) ضعف جهازه الأحدث مهما بدا متماسكا
ظاهريا، مما يجعل الجهاز البدائى أقوى - ولو نسبيا- وبالتالي أكثر تحفزا للعمل المستقل الناشز.

التعقيب والتحديث:

لعل القارئ يلاحظ، كما لاحظت أنا شخصيا مجددا، إصرارى على استعمال صفة "البيولوجية"،
أصف بها "المعلومات"، مع أن كل ما أدرجه تحت هذه الصفة تطلق عليه عادة صفة: "نفسى" أو
"تربوى" أو حتى "اجتماعى" وقد اطمأننت من خلال هذه الملاحظة إلى متانة موقفى مما هو
نيوروبيولوجى: وأنه موقف أساسى وأصلى، فكل تنظيرى، وعلاجى هو من منظور حيوى
بيولوجى، لكنه - فى نفس الوقت - أبعد ما يكون عن المنظور البيوكيميائى العصبى الاختزالى، أو
المنظور المشتبكى الموضعى، وهذا وارد فى كل ما قدمت وكنت أحسب أنه موقف قريب، لكننى هأنذا
أطمئن إلى عمقه وتاريخه، فلزم التنويه.

عودة إلى المتن) تقريبا)

وقد تنشأ من نتائج فقر التغذية وسوء التغذية البيولوجية أنواع من السلوك شائعة مهيئة للفصام مثلما ذكرنا عن الشخصية الشيزيدية أو الشخصية العاصفية، وأضيف هنا بعض أمثلة من مشاهداتي وخاصة في مرحلة الطفولة (مما تتداخل قليلا مع مشاهدات شولمان أيضا (4) (مما اعتبره من علامات الاستعداد للفصام:

التحديث والتعقيب:

يلاحظ أيضا استعمالي لمصطلح فقر التغذية بالمعلومات وكذلك سوء التغذية بالمعلومات وأنه مرتبط بفرضي أن التعامل مع المعلومات بطريقة سليمة غائية إنما يتم بهضمها وتمثلها فيما يسمى "فعلنة المعلومات"، وبما يوازى هضم وتمثل المواد الغذائية لتصبح جزءاً من تكوين الجسد⁽⁵⁾

1-الطفل الفائض: هو الطفل الذي جاء زيادة عن احتياجات الأسرة فيُستقبل دائما باعتباره رقما زائدا، وإما أن تتكر الأم (بالذات) على نفسها ذلك فتبالغ في احتوائه (تكوين رد الفعل) ، وإما ألا يُعترف به ، بمعنى ألا يُرى (يشاف) ، أو يُحترم، أو يُعدّ مع من يُعدّ.

2-الطفل الخاص المميز: هو الطفل الذي تستقبله الأسرة على أنه "مختلف" إما إلى أعلى أو إلى أدنى، أو على ناحية، المهم أنه مختلف، وفي كثير من الأحيان يعتبر هذا الاختلاف ميزة ، ومع ذلك فكثيرا ما يجعله هذا التميز له مطالب خاصة، واستجابات خاصة، تجعله أجهز لتكوين عالمه المرضى الخاص، حين يحين امتحان المرض... (وهو الطريق السري للجاهزية لعالم أكثر خصوصية يسمى "الفصام")

3-الطفل الفرجة (الزينة): (وهو الطفل الذي يقوم بوظيفة العرض على الآخرين (الضيوف والأقارب مثلا) مثل الصورة (التابلوه) إما بسبب وسامته (لجماله أو بياضه!!) أو لبعض سماته أو مواهبه، أو للفخر بتفوقه، وكل ذلك يحل بشكل أو بآخر محل وجوده وحقه الأصلي في الاعتراف به "هو" وليس بمظهر أو ناتج أدائه.

4-الطفل المشروع الاستثماري: هو الذي يقوم للأسرة بدور تعويضي أساسا لخيبة أمل ظاهرة أو باطنة في آمال وخطط الحياة بالنسبة للوالدين أساسا، مثل الوالد الذي يستعمل ابنه طول الوقت باعتباره مشروع "دكتور" ناجح ثرى متميز، وربما يبدأ هذا الاستعمال من سن مبكرة جدا، وأيضا يمكن أن يكون مشروعا استثماريا بالنسبة لتحقيق آمال أخرى متعددة حتى لو كان الوالد أو الوالدة لا يعرفانها، وفي كل الأحوال تختفى معالم الطفل وراء هذه المشاريع التي تحل محله بشكل أو بآخر.

خلاصة القول أن الشخص المهياً للفصام عادة ما يكون "متميزا" منذ الطفولة بشكل أو بآخر عن أقرانه، أو إخوانه، على حساب حقه المتواضع في أن "يستقبله" آخر "كما هو" وبالتالي: أن "يرسل" "آخر: "ماهو"، "بما: هو." مع التذكرة بأن التميز ليس دائما إيجابيا.)

(3) تشويه وخلل صورة (ومخطط) الذات:

احتاجت هذه الفقرة منى تحديدا من البداية.

وسوف أبدأ باقتطاف من ملف الإدراك قبل أن أستطرد إلى رأي "سلفانو أريتي" ومناقشته:

(1) في الممارسة الإكلينيكية قليلا ما نستعمل تعبير "صورة الجسم"، Body Image بالمقارنة باستعمال مصطلح "صورة النفس Self Image"، وبدرجة أقل من هذا وذاك نستعمل تعبير "مخطط

خافية إنما يتم بهضمها وتمثلها فيما يسمى "فعلنة المعلومات"، وبما يوازى هضم وتمثل المواد الغذائية لتصبح جزءاً من تكوين الجسد

الطفل الفائض: وهو الطفل الذي جاء زيادة عن احتياجات الأسرة فيُستقبل دائما باعتباره رقما زائدا، وإما أن تتكر الأم (بالذات) على نفسها ذلك فتبالغ في احتوائه (تكوين رد الفعل) ، وإما ألا يُعترف به ، بمعنى ألا يُرى (يشاف) ، أو يُحترم، أو يُعدّ مع من يُعدّ.

الطفل الخاص المميز: هو الطفل الذي تستقبله الأسرة على أنه "مختلف" إما إلى أعلى أو إلى أدنى، أو على ناحية، المهم أنه مختلف، وفي كثير من الأحيان يعتبر هذا الاختلاف ميزة

الطفل الفرجة (الزينة): وهو الطفل الذي يقوم بوظيفة العرض على الآخرين (الضيوف والأقارب مثلا) مثل الصورة (التابلوه) إما بسبب وسامته (لجماله أو بياضه!!) أو لبعض سماته أو مواهبه، أو للفخر بتفوقه

الطفل المشروع الاستثماري: هو الذي يقوم للأسرة بدور تعويضي أساسا لخيبة أمل ظاهرة أو باطنة في آمال وخطط الحياة بالنسبة للوالدين

الجسم Body Schema “ومخطط الذات Self Schema”!

(2) ينشط **مخطط الجسم Body Schema** مباشرة بعد الولادة كنتيجة لحركية التفاعل بين جميع

الوحدات والمشتبكات الحسية المستقبلية من العالم الخارجى (عن طريق الحواس الخاصة) وأيضا من خلال رسائل الوعى البيئى مع الأم ثم المحيطين، وكذلك المعلومات الجاهزة المنشطة من العالم الداخلى (بما فى ذلك الإحساسات العميقة والإحساسات الحسية الخ)، وهو تنظيم نيورونى مشتبكى خلوى، وليس صورة ذهنية أو متخيلة.

(3) فإذا انتقلنا إلى مخطط النفس Self schema تحديداً، فلا بد من التأكيد ابتداءً على أن النفس لا

تتفصل عن الجسد، وحسب الفرض المقدم هنا فإننا نتناول النفس باعتبارها إحدى تجليات الكيان البشرى الشامل للفرد، وبالتالي فإن الأرجح أن تمّ مخططاً للنفس موازاً لمخطط الجسم ومندمج معه نيوروبولوجياً أيضاً إذ يتشكل فى نفس الوقت.

(4) بينما مخطط الجسد له ما يمثله من الناحية النيورونية التشريحية والفسولوجية، فإن “صورة

الجسد” (فالنفس) هى أكثر تجريداً - نسبياً - وأكثر عقلنة - نسبياً أيضاً - نتيجة لتراكم المدركات حول ماهية: ما هو “أنا: كياناً عيانياً متجسداً”، مستقلاً على درجة من الوعى الظاهرى به، ولذلك فصورة الجسد (والنفس) تتأخر عن حضور المخططين إلى مرحلة تالية، حيث تتكون من إجابات متتالية متصاعدة عن أسئلة غامضة، وإذ يتكثف الرد عليها لتكوّن مفهوماً معقلاً كما ذكرنا، هو رمزى بدرجة ما: وهو صورة الجسد (فالنفس)، ولكن له ارتباطاته الوثيقة والمتداخلة بكل من مخطط الجسد وصورته.

(5) إن صورة النفس إنما يغلب عليها أيضاً التصور التجريدى المعقّل لما يعتقد الشخص أو يتصور أنه، “هو:” ثم إن صورة النفس أو مفهوم النفس: هى مجموع المفاهيم التى تتصفر لتتخلق منها صورة للنفس فهى جماع تكاملى من القيم، والأهداف، والمعتقدات، والقدرات، ورسائل المجتمع الأخرى فى كل مفهومى رمزى أساساً، لكنه ليس كذلك تماماً، فهو ليس منفصلاً تماماً عن مخطط النفس السالف الذكر.

(انتهى المقتطف من ملف الإدراك)

وقد أقرّ أرىتى بشكل مباشر أن الفصامى تكمن داخله صورة ذات مشوهة Mutilated Self Image والأرجح عندي، خاصة بعد أن يستتب المرض، أن كلا من صورة الذات ومخطط الذات،



يتشوهان ليس فقط نتيجة لما يتصوره الفصامى عن نفسه ولكن نتيجة للنشاز الذى حدث بعد تخثر هارمونية الوعى، نتيجة لهذا الانفصال النيوروبولوجى والنفسى عن الواحدة الضامة.

وصورة النفس عادة أقل كفاءة وأضعف شأنًا من حقيقة النفس، كما أنها فى الشخص المهياً للفصام شديدة الضعف، وشديدة البعد، وشديدة التشويه، وأهمية ذلك فى الإعداد للفصام هو أن هذه الظاهرة

أساسا

فى الممارسة الإكلينيكية قليلا ما نستعمل تعبير “صورة الجسم”، Body Image، بالمقارنة باستعمال مصطلح “صورة النفس” Self Image، وبدرجة أقل من هذا وذلك نستعمل تعبير “مخطط الجسم” Body Schema “ومخطط الذات” Self Schema

ينشط مخطط الجسم Body Schema مباشرة بعد

الولادة كنتيجة لحركية التفاعل بين جميع الوحدات والمشتبكات الحسية المستقبلية من العالم الخارجى (عن طريق الحواس الخاصة) وأيضاً من خلال رسائل الوعى البيئى مع الأم ثم المحيطين، وكذلك المعلومات الجاهزة المنشطة من العالم الداخلى

بينما مخطط الجسد له ما يمثله من الناحية النيورونية التشريحية والفسولوجية، فإن “صورة الجسد” (فالنفس) هى أكثر تجريداً - نسبياً - وأكثر عقلنة - نسبياً أيضاً - نتيجة لتراكم المدركات حول ماهية: ما هو “أنا: كياناً عيانياً متجسداً”، مستقلاً على درجة من الوعى الظاهرى به

تعتبر استجابة للتشويه الذى لحق المريض نتيجة "عدم الرؤية" الشاملة لوجوده، كما تُعتبر فى نفس الوقت احتجاجاً على ذلك، وتجسيدا لإبعاد حقيقة ذاته عن معنى وجوده، وكأنه عملها: "بيده لا بيد الآخرين".

إن صورة النفس إنما يخلج عليها أيضا التصور التجريدى المعقلن لما يعتقد الشخص أو يتصور أنه، "هو": ثم إن صورة النفس أو مفهوم النفس: هى مجموع المفاهيم التى تتضهر لتتخلق منها صورة للنفس فهى جماع تكامل من القيم، والأهداف، والمعتقدات، والقدرات، ووسائل المجتمع الأخرى فى كل مفهومى رمزى أساسا

صورة النفس عادة أقل كفاءة وأضعف شأنًا من حقيقة النفس، كما أنها فى الشخص المصياً للفصام شديدة الضعف، وشديدة البعد، وشديدة التشويه

– [1] كتاب تفسير الفصام لسيلفانوا أريتى:

– Arieti,S.(1974) Interpretation of Schizophrenia. New York: Basic Books.

– [2] وقد تطور هذا المدخل عندى مع تزايد اهتمامى بمسارات الطاقة الحيوية الأساسية فى كل الأحوال المرضية والصحية ، وتبادل هذه المسارات، وتكاملها أحيانا، وهو بُعدٌ شديد الارتباط بما هو الطب نفسى الإيقاعى التطورى " أنظر: وراثه: زخم الطاقة ومدى حركية التفكير لاحتمال التشكيل أو التفسخ "نشرة: 2-5-2016

‘ – [3]المعنى“ كما سبق أن أشرت إنما يقصد به هنا تناسب وكفاءة المعلومات ’ الوصلة لجهاز فعلة المعلومات فى مرحلة بذاتها.

[4] – كتاب مقالات فى الفصام:

-Bernard H Shulman- Essays in schizophrenia, Baltimore, Williams & Wilkins, 1968

‘ in ‘Medical Model[5]-Y. Rakhawy, Expansion of the Concept of ‘
, Egypt. J. Psychiat. (1980a) 3 : 159-161Psychiatry

*** **

المعجم " النفسانى " فى العلوم والطب

معجم المصطلحات الأساسية فى علوم وطب النفس

إعداد نخبة من أبرز الأطباء وعلماء النفس العرب

المعجم " النفسانى " على المتجر الإلكتروني

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=46&controller=category&id_lang=3

دليل المعجم " النفسانى " (تحميل حر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=252&controller=product&id_lang=3

المعجم " النفسانى " على شبكة علوم النفس العربية

مصطلحات الحرفه الاول من " الموسَّح " العربى (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Ar.pdf>

مصطلحات الحرفه الاول من " الموسَّح " الانكليزي (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Eng.pdf>

مصطلحات الحرفه الاول من " الموسَّح " الفرنسى (تحميل حر)

<http://www.arabpsynet.com/Annafssany/AnnafssanyDictElectFree.Fr.pdf>

المعجم " النفسانى " على الفايس بوك

<https://www.facebook.com/Dictionaries-Encyclopedias-204277553287741/>